تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

سلامه موسى أو قصة الكاتب وما كتب :

لم أكن أعلم أن للأستاذ سلامه موسى تلميذاً آخر إلا حين وقع فى يدى العدد الأخير من مجلة « المقتطف » ... فى هذا العدد الذى أصدرته المجلة عن شهر يونيو طالعت مقالا آخر فى الرد علىّ تحت عنوان « النقد والتعقيب فى الصحف والمجلات » لكاتب لاداعى لذكر إسمه لأن أحداً لايعرفه ؛ لايعرفه على الرغم من أن له كتاباً صدر منذ شهور إسمه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ! ... وأعلم أن هناك سؤالا يتردد فى الأذهان ليأخذ طريقه إلى الشفاه : كيف لايعرفه أحد وله فى أسواق الأدب كتاب ؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الكتاب « القيم » لم تعرفه أسواق الأدب حتى الآن ، وإنما عرفته أسواق تجار الورق حيث يباع « الفن الرفيع » بالرطل !!

إن لهذا الكتاب قصة ... قصة تكمن فصولها وراء هذا الهجوم الذى شنه علىّ صاحبه فى « المقتطف » منذ أيام . ولا بأس من أن أسرد لك فصول القصة بإيجاز ، لتدرك أن الدافع الأصيل لهذا الهجوم لم يكن بسبب موقفى من الأستاذ سلامه موسى ، ولكنه كان بسبب موقفى من الكتاب « القيم » ! وقبل أن أحدثك عن فصول القصة أقسم لك أن هجوم الكاتب « النابه » قد هزنى هزاً عنيفاً ... إن الناقدين يستطيعون أن يهزونا نفس الهزات العنيفة التى نلقاها من المبتدئة ؛ فالمبتدئ يستطيع أن يزلزل كيانك حين تقرأ له زلزلة تعديس وإعجاب . وكذلك الناقد فإنه يستطيع أن يزلزل كيانك أيضاً زلزلة رثاء وسخرية ! ومن هنا هزنى الكاتب « النابه » هزاً عنيفاً خشيت معه على رئتى القوجين إثر الإنفجار ... من الضحك !!

قصة طريفة عافى ذلك شك ، أقصها عليك لتنسى — ولو إلى حين — حر الصيف و « هجوم الضباب » ...

مفتاح القصة أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة ؛ إنه ليس إلا نسخة من كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ... إياك أن تظن أنى من الغفلة بحيث أشترى مثل هذا الكتاب ، ولكن صاحبه هو الذى كان من الغفلة بحيث أهداه يوماً إلىّ لأكتب عنه سطوراً تقدمه إلى القراء ! ويبدو أنى كنت قليل الذوق لأنى تثاقلت حتى اليوم عن الكتابة عنه ، على الرغم من أن الكتاب قد أرسل إلىّ مع رسول خاص يحمل إلىّ رجاء صاحبه أن أخصه بشىء من عطفى ، وعلى الرغم من أن صفحته الأولى قد حملت إلى إهداء ضخما يمكن أن يرتفع بى إلى مكانة سامقة بين كبار النقد الأدبى !!

ومضت الأيام « والرسول الكريم » يلاحقنى ليلاً ونهاراً موفداً من قبل « الأستاذ » المؤلف لأكتب عن الكتاب ولو كلمة صغيرة فى « الرسالة » ؛ ولكننى تماديت فى قلة الذوق إلى الحد الذى دفعنى إلى مصارحة « الرسول الكريم » بأننى أهين قلمى وأهين « الرسالة » وأهين عقول القراء إذا كتبت عن هذا الكتاب ... وذهل « الرسول الكريم » ولم يجد بدا من نقل كلامى إلى « الأستاذ » المؤلف ، ولعله فعل هذا ليريح لسانه من كثرة الرجاء وقدميه من طول السير !!

أنا على إستعداد لأن أنقل إليك عبارات الإهداء الضخمة بالزنكغراف ، وعلى استعداد لأن أذكر لك اسم « الرسول الكريم » وعلى استعداد لأن أقدم لك أسماء من شهدوا فصول القصة من الأدباء ، لتدرك الدوافع الأصيلة لهذا الهجوم الذى « عطر » ثلاث صفحات من « المقتطف » ؛ لقد كنت بالأمس فى رأى الكاتب « النابه » أديباً كبيراً يشار إلىّ بالبنان فأصبحت اليوم فى رأى الكاتب نفسه لاشىء ... وسبحان من جرد الكاتب « الجهير » من ثوب الخلق والتحبير ، ومن أضاع ماء الحياء من وجوه بعض الأحياء !!

أترك هذا كله لأقول للكاتب « النابه » إن القائمة الطويلة التى قدمها إلىّ من كتب الأستاذ سلامه موسى راجياً منى أن أعود إليها حتى أن أغير رأيى فيه ، أقول له إن تلك الكتب بما تحمل فى أحشائها من جرائم الفتك بالقيم والتقاليد والضمائر والأخلاق والعادات ، هى وحدها سبب حملتى عليه — فليرجع هو إليها ليغترف العلم من منابع الإضلال !

أما تلك الفقرات التي نقلها إليّ من كتاب «تربية سلامه موسى» ليستدر بها عطف رجل «خدم الأدب والفكر قرابة أربعين سنة كي يثير ويعلم ويسمو بالشباب إلى مثليات القرن العشرين ويخرجهم من ظلمات القرون الماضية ويكافح هذا الشرق التعفن الذي تتمثل فيه ديدان التقاليد» إلى آخر هذا الكلام المضحك الذي ورد في ذلك الكتاب، أقول إن تلك الفقرات جديرة بالتصديق من زلاء مستشفى المجاذيب !!

ليصدقني قراء «الرسالة» إذا قلت لهم إنكم لم تجدوا تلميذاً لهذا الرجل إلا وهو واحد من هذه التشكيلة العجيبة:

متعلم فاشل، وماجن مستهتر، وفتاة عابثة، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ...

مع أخلص التحية للأستاذ عباس محمود العقاد !!

بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية:

هذه قصة ذات مغزى ودلالة، وقعت حوادثها في أرض الديمقراطية الحق لا أرض الديمقراطية المزيفة ... هناك حيث يتفيأ الناس ظلال الحرية ويستروحون أنسامها الوديعة! ولقد حدثتك في العدد الماضي من «الرسالة» عن أرض الديمقراطية المزيفة، تلك التي يلقى فيها «رالف بانش» ما كان يلقاه العبيد في أحلك عصر من عصور التاريخ ... من حق هذه الأرض أن تهدى إليها هذه القصة، وإن كنا نخص بالإهداء أرضاً أخرى يعرفها المضللون من أصحاب الأفكار المنحرفة والمبادىء الهدامة!

«حنّ» المستر كايمنت أتلي رئيس وزراء بريطانيا يوماً إلى كليته القديمة فذهب لزيارتها حيث أقيمت له حفلة غداء ... وبدأ الطلبة المحافظون عملهم فكتبوا بحروف كبيرة فوق سيارة رئيس الوزراء (ممنوع الوقوف هنا)، ثم داروا حول السيارة وأطلقوا سراح الهواء المحبوس في العجلات ثم ذهبوا من حيث أتوا. وفي تلك اللحظة حضر سائق سيارة رئيس الوزراء وراعه ما أصاب السيارة فجرها إلى أقرب جراج ولم يخرجها منه إلا في اللحظة التي استعد فيها المستر أتلي لمغادرة كليته القديمة! غير أن الطلبة المحافظين أبوا أن ينتهي نشاطهم عند هذا الحد فأسرعوا إلى الغرفة التي توجد فيها قبعة رئيس الوزراء، ولما وجدوا بابها مغلقاً داروا حولها حتى وجدوا نافذة مفتوحة فتسلقوا بها وانتزعوا القبعة بعصا لأحدهم ثم كتبوا على ورقة بخط جميل (انتخب المحافظين في الانتخابات القادمة)، ثم ثبتوا الورقة ببعض الدبابيس في قبعة المستر كايمنت أتلي ... كل ذلك وقع ولا علم لرئيس الوزراء به، ولكنه ما كاد يستقل سيارته حتى هرع الطلبة المحافظون إلى نافذة في الطابق الأعلى ورشوا عربة الرئيس بالماء!

وتقبل أتلي كل هذه الأعمال بروح طيبة، واعتبرها مداعبة مألوفة من الطلبة!!

ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحكوم، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان الكريم بالإنسان الكريم وما أروعها من أرض تلك التي تنبت الحرية ليجني ثمارها الأحرار ضع أي رجل من رجال «الكرملين» في مكان كايمنت أتلي، وضع بعض الطلبة من الروس في مكان بعض الطلبة من الإنجليز وتصور ماحدث هنا وقد حدث هناك! إن في مجاهل سيبريا متسعاً للجميع ... وهذا هو مفرق الطريق بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية!

إلى المضللين من أصحاب الأفكار المنحرفة في مصر نهدي هذه القصة، ونهدي إلى المثقفين منهم — وما أقلهم — كتابين يصوران هذا الجحيم الشيوعي خير تصوير، وإن كان أحدهما قد نقل عن رأى العين بينما نقل الآخر عن رأى الشعور ... «أثرت الحرية» للكاتب الروسي كرافتشنكو، و«الأيدي القذرة» للكاتب والفيلسوف الفرنسي سارتر!!

بعض الرسائل من صفيح البريد:

هناك أصدقاء مجهولون يكتبون إلي من حين إلى حين ... لماذا يؤثرون أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء؟ إنني أود من الكاتب المجهول (س) الذي بعث إليّ برسالته الكريمة حول قصة «من وراء الأبد» أن يكشف عن شخصيته لأرد على تحيته.

وهذه رسالة أخرى نبيلة الهدف جليلة الغاية من «حلفا — سودان» يقترح على مرسلها الأديب الفاضل الطيب عبد الله جلال الدين أن أطلب إلى الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد أن يكتب الأول كلمة في «الرسالة» عنوانها «أخي الزيات»، وأن

يكتب الثانى كلمة أخرى عنوانها « مصطفى صادق الرافعى » ليتحقق الصفاء فى الأدب عن طريق الصفاء فى النفوس ... أود أن أقول للأديب الفاضل إن الكلمة التى ينتظرها من الدكتور طه عن الأستاذ الزيات ستلقى قريباً عند مايستقبل مجمع فؤاد الأول للغة العربية صاحب « الرسالة » بمناسبة إختياره عضواً فى المجمع؛ أما الكلمة الأخرى فلعل الأستاذ العقاد يكتبها يوماً ما . ومهما يكن من شىء فقد حسم الموت مابين الرجلين من خلاف . أما الرسالة الثالثة فتحمل إلى من « الخرطوم — سودان » تقديراً كريماً أورده اصاحبه شكراً خالصاً وهو الأديب الفاضل أحمد عوض محمد الوطف بالبنك الأهلى المصرى ، وكم أود أن يرجع إلى بعض مؤلفات الأستاذ سلامه موسى ومقالاته ليدرك سر نقمتى على أفكاره المنحرفة ، هذه الأفكار التى تهدم كثيراً من القيم الخلقية والإنسانية !

وحين أنتقل إلى الرسالة الرابعة أشعر أن إخوانى فى الجنوب قد بلغوا الغاية فى الوفاء للخلق والنبل ... إن الأديب الفاضل عبد الله شلبى من « عطبرة — سودان » يقدم الدليل على هذا السمو الخلقى والفكرى فى ثنايا رسالته . أما الجواب عما سألنى عنه حول شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية فيستطيع أن يستخلصه مما كتبته عنه على صفحات « الرسالة » ، لأننى قد تعرضت لهذا الجانب من جوانب شخصيته فى الكلمة التى جعلت عنوانها « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستى — سودان » إننى قد قضيت مع شعره لحظات تذوق ودراسة ، وسأوافيه برأيى فى رسالة خاصة .

أما الرسالة السادسة فأشكر لرسلها الشاعر الفاضل محمد المديسى نبيل عاطفته وعاطر ثنائه ، وأقول له إن الكلمة التى كتبها صديقى الأستاذ عباس خضر رداً على رسالته إلىّ ... ولهذا يبادر الأستاذ خضر بشكر الشاعر الأديب مثنياً على هذه الروح المثالية . وهذه هى الرسالة الأخيرة من الأديب الفاضل عبد الرحمن أحمد شادى الطالب بالأزهر ، أنها تحمل سؤالا ينتظر الجواب عن رأى لشوبنهور ورد فى كتاب « قصة الفلسفة الحديثة » للأستاذ أحمد أمين بك والدكتور زكى نجيب محمود ... أرجو أن يتسع وقتى للرد على سؤال الأديب الفاضل فى الأيام المقبلة ، لأن التعقيب على آراء الفلاسفة يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والصفاء !

« مقاتل الطالبيين » لأبى الفرج الأصفهانى :

إذا قلت عن هذا الكتاب إنه كتاب قيم فلا أعدو الحق والواقع — حسب القارىء أن يكون مؤلفه هو أبو الفرج صاحب « الأغانى » وحسب أبى الفرج أن يكون « الأغانى » مشيراً إليه ودليلا عليه . أما محققه الأستاذ السيد صقر فشاب يضن بوقته على أن ينفق فيما لافائدة منه ولا خير فيه ، كما يفعل كثير من شباب العلم فى هذه الأيام ... وإنما ينفقه فى البحث والتنقيب والتحقيق ليقدم إلى قراء العربية من حين إلى آخر مايقع عليه من نفائس الآثار الفكرية فى التراث العربى القديم ؛ يقدمها خالصة من الشوائب فى حدود مابين يديه من مصادر تتصل بموضوع تحقيقه من قريب أو من بعيد : أما موضوع الكتاب فتدرك أهميته ونفاسته من عنوانه : مقاتل الطالبيين !

فى هذا الكتاب ترجم أبو الفرج للشهداء من سلالة أبى طالب ، أولئك الذين استشهدوا فى سبيل الرأى والعقيدة على أيدى الخصوم من بنى أمية أو بنى العباس ! ترجم لهم فى الفترة التى تبدأ من عصر الرسول وتنتهى بنهاية القرن الثالث الهجرى ، سواء أكان المترجم له قد لقى حتفه بالسيف فى ساحة الجهاد ، أم لقى حتفه بالسم فى ساحة الغدر ، أم لقى حتفه بالتعذيب فى غيابة السجن ، أم لقى حتفه فى مكمنه الذى لجأ إليه فراراً من البطش والعدوان !

ولقد رجع الأستاذ السيد صقر فى تحقيق هذا الكتاب إلى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية ، كما راجع نصوص الكتاب على الكتب التى نقل منها أبو الفرج أو التى نقلت عنه مثبتاً ما بينها من فروق ... كما حرص على أن يثبت فى أول كل ترجمة كل مايعرف من مراجع عرضت للمترجم له بأى لون من ألوان الذكر ، وعلى أن يصنع للكتاب فهارس مفصلة للرواة والأعلام ، والجماعات ، والفرق ، والأماكن ، والأيام ، والشعر ، والمصادر ، والتراجم .

كل هذا يطلعك على مدى الجهد الذى بذله الأستاذ المحقق واستحق عليه كل تقدير وكل ثناء ... أما الكتاب نفسه فتحفة نادرة من تحف أبى الفرج يفتقدها قارىء الأدب وقارىء التاريخ !

أنور المعداوى